في أقسام الولادة في المستشفيات الكبيرة والحديثة يوضع الطفل عادة في حجرة زجاجية صغيرة مع الأطفال الآخرين. ولا يُسمح بدخول الحجرة إلا للذين يرتدون أقنعة، وذلك لحفظ الأطفال من الجراثيم. والأيام بل الساعات الأولى من عمر الطفل حاسمة. وكذلك الأمر في السير في خُطى السيد المسيح فإن الأيام الأولى بعد الإيمان حافلة بمهاجمات إبليس. وأشد الجراثيم فتكاً في هذه المرحلة هي جراثيم الشك. وكثيرون الذين سقطوا أمام إبليس لوقت طويل لأنه خدعهم وضلّلهم بسؤال مُشكِّك. هل حقيقة نلت الوعد بالحياة الأبدية؟ هل بمجرد دعاء قصير تغيّرت حياتك وأصبحت خليقة جديدة؟ كيف تستطيع أن تواجه العالم وتحدياته؟ هل تستطيع أن تواصل السير مع السيد المسيح؟ هل تستطيع أن تتخلّص من عاداتك السيئة التي مارستها لسنوات؟ وماذا عن بعض الخطايا التي ستسقط فيها؟ وماذا عن مستقبلك وهمومك؟ ماذا يستطيع أن يعمل السيد المسيح عملياً لك؟

قرأت في أحد الكتب توضيحاً ساعدني كثيراً في حياتي اليومية لكي أتغلب على إبليس وخدعه المتواصلة. لنفترض أنك تسكن في شقة في إحدى العمارات التي يمتلكها إنسان شرير لا ضمير له ولا أخلاق يعبد المال ويستغل أي وسيلة ليمتص المزيد من المال من المستأجرين في عمارته. يأتي آخر كل شهر بطلباته الكثيرة الملّحة، وعندما تطلب منه التمهل أسبوعاً أو بضعة أيام يوافق بشرط أن تدفع فائدة معينة. وهكذا بمرور الوقت ابتدأت الديون تزداد وقيود هذا الإنسان تلتف حولك وتربطك إلى أن وقعت تحت سطوته.

وفي صباح يوم أتى إليك رجل أنيق وقال لك: يا فلان أنا أعرفك. أنت فلان الفلاني وأنت مدين بمبلغ كذا وكذا، ولكن لا تخف. أنا الآن صاحب العمارة الجديد لأني اشتريتها ودفعت عنك كل ديونك. ليس هذا فقط لكني قررت أن أدعوك لتبقى في هذه الشقة في عمارتي طول حياتك بدون دفع أي إيجار.

هذا ما فعله السيد المسيح معنا. وكمؤمنين نحن عـادة نقبل حقيقة أن ديوننا قد دُفعت وماضينا أصبح نظيفاً لأن جميع خطايانا قـد غُفـرت. ولكن عندما نفكر في الحاضر والمستقبل يصعب علينا أن نفكّر أننا ساكنـون مجانـاً. ولذا نرى أننا قبلنا السيد المسيح بالإيمان ولكن سلكنـا بالأعمـال، لذلك كـتب الرسـول بولس لأهل (كولوسي 6:2): "**فكما قبلتم السيد المسيح** (بالإيمان) **اسلكوا فيه**". وما يحدث هو أنه في اليوم الثاني بعد زيارة صاحب العمارة الجديد تسمـع طَرَقـات على الباب وعندما تفتح تُفاجأ بصاحب العمارة القديم واقفاً أمامك وبيده فاتورة يطالبك بدفعها. وفي هذه الحالة أمامك أحد الاختيارات الآتية:

**الاختيار الأول:** أن تلكمه على أنفه، لكنه أكبر وأقوى منك.

**الاختيار الثاني:** أن تبدأ بالجدال معه وإذا به يأتي بالفاتـورة تلو الأخرى وبأوراق يقول إنها قانونية وبإمضاء محام وقاض: إلخ، وإذا به يدخـل الشقة وبسبب كلامه وإقناعه تجد نفسك مديناً ومقيّداً مع أن صاحب العمارة الجديد قد حررك.

**الاختيار الثالث:** هو أن لا تصدّق صاحب العمـارة القديـم وترسلـه إلى صاحب العمارة الجديد الذي يسكن في الطابق العلوي. هنـا ينتهـي الحديث معه، إذ أنه لا يجرؤ على أن يقابل صاحب العمارة الجديد.

يحاول الشيطان أن يخدعك لكن عليك أن تُحيله إلى صاحب حياتك الجديد فهو كفيل به. فما هي الشكوك التي ستواجهها وكيف تستطيع أن تنتصر عليها؟

## 1- الشك في حصولك على الحياة الأبدية:

تذكّر أن الشيطان يأتي بأسئلته المشكِّكة، حتى للسيد المسيح. فعندما صعد السيد المسيح إلى البرية وصام أربعين نهاراً وأربعين ليلةً ثـم جـاع أخيراً استغلّ إبليس الفرصة وتقدّم إليه قائلاً: "**إن كنت ابن الله فعلاً فاطلـب من هذه الحجارة أن تصير خبزاً**". فأجابه السيد المسيح قائلاً: "**مكتوب في التـوراة ليـس بالخـبز وحده يحيا**

**الإنسان بل بكل كلمة يقولها الله**". ولقد حاول إبليس مع السيد المسيح مرات أخرى فأجابه بنفس الطريقة مستخدماً كلمة الله، وانتصر على إبليس في كل مرة. نلاحظ في هذه الحادثة أن السيد المسيح لم يسترسل في التفكير فيما قاله إبليس بل ردَّ على ما يهاجمه به إبليس بالمكتوب في الكتاب المقدس.

وأنت كذلك عندما تواجه صاحب العمارة القديم وبيده ورقة تقول بأنك ستطرد من العمارة في يوم من الأيام لا تجادل معه، بل تستطيع أن ترسله إلى صاحب العمارة الجديد في الطابق العلوي متذكراً كلمات كهذه: "**إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يوحنا 24:5).

## 2- الشك بإمكانية حياة منتصرة:

عندما يذكِّرك صاحب العمارة القديم بقوته وبنفوذه وسيطرته الماضية على حياتك تستطيع أن ترسله ليقابل صاحب العمارة الجديد مردداً مع الرسول بولس في (فيلبي 13:4) "**أستطيع كل شيء** (بصاحب العمارة الجديد) **بالسيد المسيح الذي يقويني**". "**لم تصبكم تجربة إلا بشرية ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا**" (كورنثوس الأولى 13:10). "**والقادر أن يحفظني غير عاثر ويوقفني أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور..**" (يهوذا 24،25). "**لا تشمتي بي ياعدوتي إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي**" (ميخا 8:7).

## 3- الشك في غفران ذنوب وخطايا المستقبل:

بعد أن تسقط في خطيئة أو معصية ما، وتتأثّر علاقتك مع من أحبك، سيسرع إليك صاحب العمارة القديم مذكِّراً إياك بخطيئتك وكأنه صديق السيد المسيح ويريد أن يدافع عنه. فيلومك ويحاول أن لا يتركك قبل أن يحطمّك. في هذه اللحظات

تذكّر وعود صاحب العمارة الجديد في كتابه الذي أعطاك نسخة منــه. "**إن اعترفنا بخطايانا فهو** (صاحب العمارة الجديد) **أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**" (يوحنا الأولى 9:1). في نفس اللحظة ادعُ الله أينمـــا كنت سواء جالساً في البيت أم سائراً في الطريق، ولا تنتظر بل ارفع قلبك لله بالدعـــاء والصلاة تائباً عن خطيئتك طالباً منه أن يغفرها، وسيستجيب لك حســب وعده. "**يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب السيد المسيح البار. وهو كفّارة لخطايانا، ليــس لخطايانـــا فقــط بــل لخطايــا كــل العالــم أيضـــاً**". (رسالة يوحنا الأولى 1:2،2).

## 4- الشك في محبة الله واهتمامه بك:

عندما تجد نفسك في جو وحدة وكآبة، في هذه اللحظـــات بالذات يأتي الشيطان ــ صاحب العمارة القديم ــ وكأنه الصديق الحميم ليشكّكك في محبة السيد المسيح. اطرده بسرعة خارجاً بقولك: مكتوب.. "**الذي لــم يشفــق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟**" (رومية 32:8).
"**أليس عصفوران يباعان بفلس. وواحد منهما لا يسقــط على الأرض بدون أبيكم. وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعهـــا محصـــاة. فلا تخافـــوا، أنتم أفضل من عصافير كثيرة**" (متى 29:10-31).

هذا هو السلوك العملي بالإيمان وهو أن تختار، لحظـــة بعد لحظة، أن تثق في كلمة الله ووعوده وتصدقها عوضاً عن أن تصدق الشيطان وأكاذيبه. وهكذا تستطيع أن تختبر عملياً صدق هذه الحقيقة: "**إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً**".

هل وسوس لك الشيطان (صاحب العمارة القديم) بزرعه شكوكاً في داخلك بعد إيمانك وقبولك السيد المسيح؟ هل استطاع أن يخدعك؟ هل انتصرت عليه باستخدام كلمة الله؟

دوّن بعض الصراعات التي انتصرت فيها على إبليس عدوك.

أشجعك على أن تبدأ بحفظ آية عن كل حالـــة من الحـــالات الأربع المذكورة سابقاً لكي تضع ثقتك في وعود الله وليس في أكاذيب الشيطان.

تقع القرية التي ولدت وترعرعت فيها على سفح جبل صغـير، وتمتـد بضع كيلو مترات. ولعشرات السنين كانت تنشب في أيام الصيف عند غروب الشمس حرب تقليدية بين أولاد الحي الشرقي وأولاد الحي الغربي. وكانت تستخدم الحجارة والمقاليع في هذه الحرب. وكان الهدف في كل يوم هـو احتـلال رأس الجبل. لقد اشترك والدي في هذه الحرب في أيام صباه، واشتركت أنا أيضـاً في صباي. ولا أعلم إن كان هذا التقليد لا يزال سارياً إلى يومنا هذا.

في المرات القليلة التي اشتركت فيها في القتـال كنت من الخاسـرين إذ كان أعداؤنا، أبناء الحي الغربي، كانوا على رأس الجبـل يحتلـون القمة بالإضافة إلى مسافة تقرب من المئة متر من الجانب الشرقي للجبل. وهكـذا كُنا نقبع في ما يشبه الخنادق ونرمي بالحجارة محاولين الهجوم أحيانـاً لاحتـلال القمة. وفي أحد الأيام ونحن مختبئون في خنادق بلا رجاء في الانتصار، إذا بشاب قوي يبلغ الثلاثين من العمر يأتي من حيّنا ويهاجم بدون خوف صارخـاً بنـا: "اتبعوني". كانت أعمارنا تتراوح بين ثماني سنوات واثنتي عشرة سنة. ولذا فمنظر هذا الشاب بقوته وجرأته أشعل في قلوبنا الحماس وفي قلوب أعدائنا الخوف والشعور بالهزيمة. وفي لحظات تقهقرت صفوف أولاد الحي الغربي. وأما نحن فوصلنا للقمـة. لا أنسى حتى الآن شعور النصر في تلك اللحظات. وعندما فارقنـا ذلك الشـاب قال: "أنتم الآن على القمة فلا تتراجعوا عنها". ولم نفارقها وقتها إذ أننا بقينا على رأس الجبل، ولم نُرد أن ننزل وكأننا نريد أن نحتفظ بذلك النصر لأطول وقت ممكن.

هذه القصة تشبه قصتنا مع عدونا الشيطان لقـد كان يوهمنـا أنه (على رأس الجبل) أي أنه كان في موقف القوة بسبب تلويحه المستمر بأقوى سلاح عنده، سلاح الخوف من الموت. وكُنا نحن مقهورين مخذولين، لأنه كان دائماً يلوّح بهذا السلاح القوي في وجهنا. ولكن لما أتى السيد المسيح انتصر على إبليس وهزمـه إذ أنه حول

الموت إلى قيامة وانتصار وبهذا كسر أقوى سلاح عند إبليس. وكان ذلك الشاب القوي الذي رآنا منهزمين يائسين على سفح الجبل، مختبئين في خنادق يقول لنا: "اتبعوني". وفي لحظة (نتيجة لموت السيد المسيح وقيامته وانتصاره، ونتيجة لتجاوبنا معه وفتح حياتنا لسيادته) وصلنا إلى القمة. وكأنه يقول لنا: "أنتم الآن على القمة فلا تتراجعوا عنها".

هذا ما نراه في رسالة الرسول بولس إلى أهل مدينة أفسس بإيجاز في هذه الكلمات: "**ونحن أموات بالخطايا** (مختبئين في خنادق اليأس والهزيمة) **أحيانا مع المسيح.... وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع**" (أفسس 6،5:2).

إذاً فكل شخص وضع ثقته الكاملة عملياً وآمن بالسيد المسيح، أي قبله في حياته هو الآن على القمة. أخي القارئ إن كنت قد سلّمت زمام حياتك للسيد المسيح، فأنت الآن على القمة. أنت تسكن في السماويات في المسيح. ولكن ربما تتساءل: "أشعر أني أبعد ما أكون عن القمة. أشعر بالخوف. أشعر باليأس. أشعر بالفشل إذ أن عاداتي القديمة لا تزال مسيطرة عليّ".. تيقن يا أخي أنك لا تزال على القمة.

لنتأمل باختصار في رسالة الرسول بولس إلى أهل مدينة أفسس. الرسالة مقسّمة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

**القسم الأول** الفصول 1 ، 2 ، 3 .

**القسم الثاني** الفصول 4 ، 5 ، 6:1-9 .

**القسم الأخير** 6:10-24 .

ففي **القسم الأول** (أفسس 1 ، 2 ، 3) يتكلم الرسول بولس عن مكانة المؤمن والامتيازات التي له. وكأنه إنسان يحاول بجهد وكد أن يفسر لطفل امتيازاته العظيمة وغناه الذي لا يُحصى، لأن والده مليونير ومن أغنى الأغنياء في العالم.

ماذا يستطيع أن يقول لهذا الطفل؟ أيخبره عن المصارف التي يملكها والده، أم عن الأراضي، أم المصانع، أم السفن، أم العمارات. أين يبدأ وماذا يقول، خصوصاً إن كان الطفل يبكي لأن الكرة التي يلعب بها خضراء وليست حمراء ككرة الطفل الآخر الذي مر في الشارع.

هذا ما نراه في الفصل (الأصحاح) الأول من الرسالة إلى أهل أفسس بعد أن عدّد الرسول بولس امتيازات المؤمن إلى حد أنه ابتدأ بالدعاء والصلاة من أجلهم لكي يفتح الله عيون أذهانهم ليكتشفوا مدى الغنى والقوة والرجاء التي لهم في المسيح. لذا نرى في القسم الأول من رسالة أفسس أننا أولاد ملك الملوك ورب الأرباب. قد رفعنا الله برحمته ونعمته اللتين لا نستحقهما وأجلسنا مع السيد المسيح في السماويات على القمة.

أما **القسم الثاني** (أفسس 4 ، 5 ، 6:1-9) فيتكلّم عن صفات المؤمن المنتصر. فالمنتصر يتكلم ويفكر ويتصرف بأسلوب خاص، لا بأسلوب الفشل واليأس والهزيمة. فهل تتصور مثلاً أن سفراء الدول الكبرى يلبسون أحذية بالية أو ثياباً قذرة، أو يركبون السيارات العتيقة؟!

سمعت قصة عن رجل اشترى تذكرة سفر على إحدى السفن المسافرة من إحدى الدول العربية إلى أوروبا. وبسبب محدودية دخله اشترى التذكرة بالسعر الأرخص. وقبل سفره بيوم اشترى كمية لا بأس بها من الخبز والمعلبات. وهكذا أمضى أيام السفر الطويلة يوماً بعد يوم ووجبة بعد وجبة يأكل الخبز اليابس بينما جميع المسافرين يتمتعون بأشهى الطعام في مطعم السفينة.

وفي اليوم الأخير قبل الوصول إلى أوروبا اكتشف الحقيقة. وفي ذهول وأسى وقف حزيناً عندما عرف أن كل التذاكر على هذه السفينة تُعطي الحق لكل مسافر أن يأكل في المطعم.

هل تجد نفسك كمؤمن، مثل هذا المسافر، تحيا حيـــاة الفاشلـــين الخائفين وأنت على القمة، وأنت لا تتمتع بوعود وبركات الله؟ أنت ابن لله وتنتمـــي إلى أهل بيت الله، إذاً فاسلك وتصرّف كأمير. أنت سفير ملك الملوك ورب الأرباب فلا تتصرّف كمتسول بل كسفير يُمثّل أعظم ملك.

أما القسم الأخير (أفسس 6:10-24) فيتكلم عن الطـــرق العملية التي تساعدنا لكي نحافظ على مركزنا ولا ننهزم ــ حتـــى ولـــو شعوريـــاً ــ أمـــام إبليس، لأن الشيطان لا يستطيع أن ينزلنا من السماويات، لأن السيـــد المسيح يسكن فينا ومكانه هو القمة.

والشيطان يعلم ذلك، لذا يأتي بخدعه لا بالحقيقة، فيحاول أن يتسلل إلى أفكارنا ليقنعنا بأننا مازلنا فقط عند سفح الجبل، لأن شعورنا وظروفنا أقرب إلى السفح منها إلى القمة. (أتذكر صاحب العمارة القديم الذي يضللنـــا بخداعـــه دون أن يكون في كلامه اي قدر من الحقيقة؟).

لنحاول الآن أن نلّخص ما قلناه في الشكل الآتي:

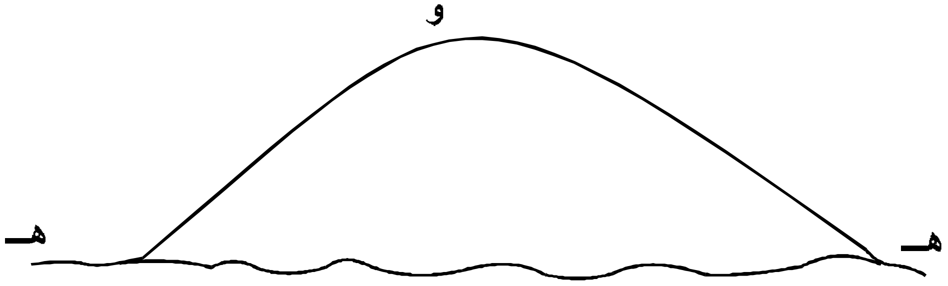


1- لقد كُنا على السفح متقوقعين في الخنـــادق في نقطـــة (هـ) وإبليس يوهمنا أنه على القمة في نقطة (و).
2- بموت السيد المسيح وقيامته انتصـــر على إبليـــس وأقامنـــا معـــه وأجلسنا معه (أي مع السيد المسيح) في السماويات وأصبحنا معه في نقطة (و).
3- لا نستطيع بعد الآن أن ننزل ثانيةً إلى نقطة (هـ) لأن السيـــد المسيح بروحه

القدوس يسكن فينا. مكاننا هو القمة. قد نخطئ وقد نتمرغ في الوحل ولكن نبقى على القمة إذ أننا الآن على مستوى (و ي) مستوى البنوة. ( صفحة 16)

فإن اقترف أحد أبنائي خطأ لا أطرده إلى الشارع، بل أعاقبه مؤدباً إياه على خطئه ولكنه لا يزال ابني. وهكذا نحن بقبولنا السيد المسيح وتسليم زمام حياتنا له، نحيا في السماويات على القمة على مستوى (و ي).

## الله هو أبي

لعل أكثر الحقائق التي ستبدأ باستيعابها هي أنك أصبحت ابناً لله. لنفكّر ولو للحظات في هذه الحقيقة العميقة عن من أنت ومن أنا حتى نصبح أبناء لله؟ هل تستطيع أن تستوعب هذه الحقيقة أن الله هو والدك؟ الآن تستطيع أن تدعو وتصلّي "أبانا الذي في السموات....." ولكوننا أصبحنا أبناء لله فذلك نعمة ورحمة لا نستحقهما.

أعرف شاباً اسمه إبراهيم آمن بالسيد المسيح وسلّم حياته له وأخذ ينمو مع عدد من زملائه الشباب في القسم الداخلي في إحدى المدارس الثانوية حيث كنت أعمل كمدرس، وفي تلك السنة حدثت اضطرابات وانتشرت الفوضى في تلك المدينة حيث انتشر المسلحون ودويّ صوت الرصاص مما اضطرنا لأن نختبئ في الغرف الآمنة بعد أن أرسلنا معظم الطلاب الداخليين إلى بيوتهم أو بيوت أقربائهم في القرى المجاورة حتى لم يبق في المدرسة إلا بقية قليلة من الطلاب الذين لا أقارب لهم، لأن والديهم مهاجرون للعمل، ومن بين هؤلاء كان إبراهيم.

وظللنا على هذه الحال لمدة ثلاث أيام، وفي اليوم الثالث بعد أن رأى إبراهيم معظم أصدقائه يتركونه، الواحد بعد الآخر، عزّ عليه أن يبقى في المدرسة وهو لا يعلم متى سينتهي هذا الوضع. كُنا معاً نصلي، وهو المؤمن الحديث العهد في الإيمان الذي لم يقرأ من الكتاب المقدس إلاّ أقل القليل ولم يعرف من المعلومات الكتابية إلا القليل، وفي صلاته ودعائه في تلك اللحظات الرهيبة، وصوت

الرصاص يدوّي باستمرار، قال كلمات كهذه: يارب لا نعلم ماذا سيحدث هل سنبقى أحياء أم لا. يارب كل أصدقائي تركوا المدرسة وذهبوا إلى بيوتهم. فلان ذهب إلى قريته وفلان ذهب إلى أهله، أنا لمن أذهب يارب؟ أهلي الآن مهاجرون وأنت تعلم أنه لا مكان لي إلاّ عندك، فيارب أنا أعلم أنك لن تتركنـــي. أنت إلهي، أنت والدي. (واستمر في الصلاة والدموع في عينيه قائلاً) يا الله يا والدي يا أبي. أنت أبي ولن تتركني. شكراً لك يا أبي لأنك قبلتني ابناً لك. شكراً.

كنت راكعاً إلى جواره نصلي معاً وعندما وصـــل فـــي صلاتـــه ودعائه إلى الكلمات التي ابتدأ يناجي بها الله كأب اقشعر جسمي لأني عرفت في تلك اللحظات أن إبراهيم تعرّف على الله بعمق جديد. عرف (الله كأبيه). والغريب في الحادثة أن الروح القدس كشف له هذه الحقيقة العميقة حتى قبل أن يصل في قراءته إلى رسالة الرسول بولس إلى مدينة غلاطية حيث دُونت هذه الحقيقة بهذه الكلمات: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولـــوداً مـــن امـــرأة، مولـــوداً تحـــت الناموس (الشريعة) ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكـــم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا (بابا) للآب".

هل تمتعت بعلاقتك مع الله كأبيك السمـــاوي أم لا؟ أرجـــو أن تتوقف هنا عن القراءة، وتتكلم مع أبيك الذي في السماء. إنه ينتظر أن يسمـــع صوتـــك حتى ولو بكلمات بسيطة.

في هذا الفصل ركّزنا على الحقيقة التالية: أنت شخص مميز. فكما أنه في كل مطار في العالم توجد قاعة استقبال للأشخاص البارزين والمميزين تدعى قاعة كبار الزوار (V I P) أنت الآن شخص مهم والسبب يكمن في حقيقتين:

1- أنت على القمة جالس في السماويات رغم عدم استحقاقك.

2- أنت ابن لله وتستطيع أن تأتي إليه وتدعوه: "يا أبي" رغم عدم استحقاقك.

لكن هناك حقيقة ثالثة تجعل منك شخصاً هاماً ومميزاً.

3- أنت الآن عضو في عائلة أهل بيت الله رغم عدم استحقاقك.

## عضو مهم في العائلة:

ليست علاقتك مع الله فقط، بل أيضاً مع أخوة وأخوات كثيرين لا تفصلهم لغة ولا دين ولا مسافة ولا زمن ولا جنسية. ففي اللحظة التي قبلت فيها السيد المسيح أصبحت ابناً لله وأصبحت أخاً أو أختاً لمؤمنين كثيرين (غلاطية 3:28): "**ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ. ليس عبدٌ ولا حُرٌّ. ليس ذكرٌ وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح**". ومعنى ذلك أن الحواجز التي كانت تفصل بين الناس نتيجة للتعصب إلى لغة أو دين أو عرق دون آخر قد رُفعت الآن. فالشخص المؤمن بالسيد المسيح من أي خلفية دينية أو لغوية أو عرقية أو غير ذلك لا يحتاج أن ينسلخ عن عائلته ومجتمعه لكي يكون جديراً بالانتماء إلى عائلة أهل بيت الله.

في بدايات انتشار رسالة السيد المسيح كان يُنظر إلى "الأممي" (الشخص غير اليهودي) على أنه نجس وغير مسموح له بعبادة الله إن لم يعتنق الدين اليهودي، وقد استمرت هذه الفكرة وهذا التعصب بين اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح بحيث ظلوا ينظرون إلى الأمم المؤمنين على أنهم نجسون ومن الدرجة الثانية. وبالتالي عليهم أن يصبحوا يهوداً كشرط لكي يدخلوا ملكوت الله الذي بشر به السيد المسيح (أعمال 15) وهذه الفكرة التي نقضها الرسول بولس في الآية التي سبق ذكرها في غلاطية أنه لا داعي لأن يصبح الأممي يهودياً حتى يدخل ملكوت الله.

فما هو عمق هذه العلاقة التي لنا مع إخوتنا المؤمنين؟ لننظر معاً إلى هذه الحادثة الغريبة في (متى 12:46-50) "**وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه، فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي ومن هم إخوتي. ثم مد يده نحو تلاميذه فقال ها أمي وإخوتي. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي**". هل تستطيع أن تتخيّل ذلك الموقف؟ يا تُرى ماذا

كان شعور بطرس أو يعقوب أو يوحنا  في تلك اللحظات بعد أن أشـــار إليهم السيد المسيح قائلاً بأنهم إخوته؟

لو كنت واحداً من التلاميــذ (الحواريين) تُــرى مــاذا كـــان شعورك في تلك اللحظات؟

لنفترض أن لي أخوين، أحدهما مؤمن بالسيــد المسيــح،  والآخر ليس مؤمناً. فعلاقتي مع أخي غير المؤمن هي نتيجة لكوننـــا أفـــراداً في  نفس العائلة ولنا نفس الوالدين وترعرعنا في نفس البيت.  لكن مع السنين عندما تــزوج أخي وانتقل إلى بيته الخاص، ثم تزوجت أنا وانتقلت أيضاً إلى بيتي الخاص،  أخذت علاقتنا كأخوة تتغير. فمع تركيزه على عائلته ومع تركيزي على عائلتي،  لم يبقَ لنا الوقت الكثير لتنمية وتقوية علاقتنا كإخوة. ما يربطنا معاً هو اهتمامنـــا بوالدينا،  وحديثنا يقتصر على الأمور العائلية. لكن سيأتي يوم نفارق فيه هذه الحيـــاة عندئذ تكون علاقتنا قد انقطعت إلى الأبد.

أما مع أخي المؤمن فالقصة تختلف. إذ مع أنه لنا نفــس رباط الدم الواحد، لنا أيضاً رباط أقوى، إذ أن أخي المؤمن هو ابـــن لله، وأنـــا أيضـــاً عندما قبلت السيد المسيح أصبحت ابناً لله. لذا فلنا والد واحد هو الله وعلاقتنا لا تنتهي إذ أنها تمتد بعد الموت إلى حياة أبدية. كلامنا واهتمامنا ليس فقط في الأمـــور العائلية والأقارب بل أكثر من ذلك فهي علاقة مبنية على شركة عميقة نستطيـــع بها أن نأتي بشفافية معاً أمام الله ولنا نفس الرغبة في أن ننمو في التشبـــه بالسيـــد المسيـــح.  ما قاله السيد المسيح في (انجيل متى 12:46-50) هو أن علاقتنا مع أولاد الله أقوى وأهم بكثير من علاقتنا مع أخوتنا وأخواتنا حسب الجسد. لأننا ســـوف لا نبقـــى في هذا الجسد لوقت طويل ولكن مع إخوتنا المؤمنين فسنبقى إخوة إلى الأبد.

فيا أخي، ويا أختي أنتما اليوم عضوان ثمينان ولا غنـــى عنكما في جسد السيد المسيح وفي عائلة أهل بيت الله فكما أنـــه مـــن الصعـــب جـــداً أن يستغني الجسد

عن العين أو اليد أو الرجل، كذلك في جسد السيد المسيح أنت لا يُستغنى عنك. إني أحتاج إلى صلاتك ودعائك كما أنك تحتاج إلى صلاتي ودعائي. أرجو في هذه اللحظات القادمة أن تصرف بعض الوقت في الصلاة والدعاء.

هل هناك أبناء وبنات في عائلة الله ربطك السيد المسيح معهم برباط الأخوّة؟ اشكر الله من أجلهم، لأنه وضعك في هذه العائلة العظيمة ولأن السيد المسيح يدعوك (أخي) أو (أختي).

أرجوك أيضاً في هذه اللحظات أن تصلي من أجلي. اطلب من الله أن يساعدني لكي أرفض أن أستمع إلى صاحب العمارة القديم في حياتي اليومية وأن أسلك بالإيمان.

يا لجمال شركتنا وعلاقتنا معاً! إننا نصلي واحدنا للآخر حتى قبل أن نلتقي! ليس هذا فقط، بل لنا أب واحد هو الله. نحن في نفس العائلة، عائلة الله. لنا هدف رئيسي واحد وهو عبادة الله ولنا عدو واحد هو إبليس.

أهلاً بك يا أخي الغالي في عائلة أهل بيت الله.

# الضرورات السبع للنمو

ذكرنا سابقاً أن الولادة الثانية هي خلق جديد أو بداية حياة جديدة روحية. وكما أن الطفل يحتاج لأمور لا يُستغنى عنها، كذلك الإنسان الذي وُلد ثانيةً من الله يحتاج إلى أمور ضرورية للنمو، والطفل بعد ولادته لا يستطيع أن يحيا أو أن ينمو نمواً طبيعياً إن لم تتوفر له هذه الأمور:

1- التنفس ضرورة للحياة. في الشهيق يدخل الأوكسجين إلى الرئتين وفي الزفير يخرج ثاني أكسيد الكربون الخانق.
2- الطعام ضرورة للنمو.
3- الحماية من الجراثيم، (درهم وقاية خير من قنطار علاج).
4- النوم فرصة لتجديد القوة والنمو.
5- معالجة الأمراض بسرعة قبل أن يستفحل الداء.
6- الحركة والتمرين ضرورتان لحفظ الجسم من الخمول أو الضعف.
7- تغيير ملابس الطفل وتنظيفه.

أما في الحياة الروحية فإننا نستطيع أيضاً أن نرى ضرورة لسبعة أمور توازي هذه الأمور في أهميتها:

1- علاقة مستمرة، متصلة بالله بالصلاة والدعاء = التنفس.
2- التغذية من خلال قراءة ودراسة الكتاب المقدس = الطعام.
3- الحماية من الشكوك ومن هجمات إبليس = الحماية من الجراثيم.
4- الراحة والطمأنينة وإلقاء أحمالنا وهمومنا على السيد المسيح = النوم.
5- التخلّص فوراً من تأثيرات الخطيئة والمعاصي = معالجة الأمراض بسرعة.
6- الاعتراف بالسيد المسيح ودعوة الآخرين إليه = الحركة والتمرين.
7- خدمة أبوية روحية لتحمُّل مسئولية المؤمن حديث الإيمان في ضعفاته وأخطائه = تغيير الملابس والتنظيف.

لنأخذ كل واحدة من هذه الأمور السبعة على حدة ونتأمل في بعض جوانبها.

**1- علاقة مستمرة، متصلة بالله بالصلاة والدعاء = التنفس**

هل تتوقع من طفل أو من أي إنسان أن يحيا طويلاً بدون تنفس؟ الجواب، بالطبع لا. وكما أنه من الحماقة للإنسان أن يغلق أنفه وفمه لكي يبرهن أنه يستطيع أن يحيا بدون تنفس، كذلك من الحماقة أن يقنع المؤمن نفسه بأنه يستطيع أن يصلي مرة أو مرتين أو حتى خمس مرات في اليوم وكفى، وكأن الصلاة واجب يؤديه ثم يواصل يومه بمجهوده الخاص. انظر إلى ما يقوله الرسول بولس في (أفسس 18:6) "**مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين**" وهذا ما أكده السيد المسيح في (يوحنا 4:15،5) "**أثبتوا فيّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**". هل تصدّق كلام السيد المسيح: "**لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**"؟ هذا هو المعنى الأشمل للصلاة. فالصلاة علاقة مستمرة ثابتة مع الله، وكأن بيننا وبينه خطاً تليفونياً محمولاً ومفتوحاً نستطيع أن نسمع صوته في أي لحظة ونستطيع أن نتكلم معه سواء كُنا نمشي في الطريق أو نقرأ في الجريدة أو في الكتاب، أو كُنا نعمل عملاً ما أو كُنا راكعين أو ساجدين لنصلي.

وكما أن التنفس شهيق وزفير، كذلك نستطيع أن نرى في التنفس الروحي شهيقاً وزفيراً. ففي الزفير نعترف بأية خطيئة بالفكر أو بالتصرف ونتخلص من تأثيرها السام (هل حفظت الآية في يوحنا الأولى 9:1) "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**". قد نستخدم هذه الآية عشرات المرات في اليوم الواحد، وهذا أفضل بكثير من أن تدع ولو خطيئة واحدة تبقى في حياتك بمفعولها السام. أما في الشهيق فنطلب من روح الله القدوس الذي يسكن فينا أن يملأنا ويسيطر على أفكارنا وتصرفاتنا. لذا فالتنفس الروحي ضرورة

حتمية وبدونه تكون العلاقة مع الله مقطوعة.

**2- التغذية من خلال قراءة ودراسة الكتاب المقدس = الطعام**

توجد عدة أوجه شبه بين الطعام الذي نأكله وكلمة الله (طعامنا الروحي). لكن هناك فارقاً واحداً جوهرياً فمن ناحية الطعام الجسدي نرى أن الشهية للطعام تنشأ عن الجوع، فكلما جاع الإنسان زادت شهيته للأكل. وأما في الطعام الروحي فشهيتنا لكلمة الله تزداد كلما أكلنا أكثر، وتنقص كلما طال انقطاعنا عن قراءة الكتاب المقدس.

استخدم الرسول بطرس فعل الأمر (وليس الفعل الماضي) عندما كتب في رسالته الأولى "**وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به إن كنتم قد ذُقتم أن الرب صالح**" (رسالة بطرس الأولى 3،2:2). إنك تستطيع أن تزيد شهيتك لكلمة الله إن أنت ابتدأت من اليوم في صرف بعض الوقت، ربما صباحاً أو مساءً من كل يوم، في قراءة الكتاب المقدس. ليس هذا فقط بل أن تتأمل في المكتوب وتفكّر في الكلمات وتتلذّذ بها، تمضغها تختزنها في فكرك، ثم أثناء اليوم تُرجعها إلى وعيك وتجترّها وتتمتع بها. هنيئاً للإنسان الذي يتلذّذ بكلمة الله ويلهج فيها نهاراً وليلاً فيكون كشجرة مغروسة عند الأنهار التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل! هذا الإنسان ينجح في كل ما يصنعه، وسينمو وينمو ويتطوّر.

يستخدم أطباء الأطفال أحياناً رسماً بيانياً لقياس نمو الطفل، فالطفل الطبيعي عند الولادة يزن حوالي ثلاثة كيلو جرامات ويكون طوله حوالي 45 سنتيمتراً. أما الشهور التي تلي ذلك فمن المفروض أن يزداد الطفل في الوزن والطول، ولكل سن مقياس. فإن رأينا طفلاً عمره ثلاث سنوات ووزنه أربعة كيلو جرامات، فسيكون منظره غريباً إذ سيكون أقرب شيء لهيكل عظمي مُغلّف بالجلد. وعندما ينظر الله إلى أولاده الذين أحبهم محبة لا تُقاس، كثيراً ما يرى فينا أرواحاً ووجوهاً شاحبة

وحياة روحية أشبه ما تكون بالهيكل العظمي لأننـا اكتفينـا بأقل القليل من الطعام الروحي وتعودنا أن نكتفي بما يدرسه ويفسـره لنـا الآخـرون من الكتاب المقدس ويضعونه في أفواهنا. يا لتعاسة حالتنا! دعائي من أجلك ياعزيزي القارئ أن يكون جيلك أقوى من جيلنا وأن تكون شهيتك لكلمة الله أقـوى مـن شهيتنـا لكي تكون صحيحاً قوياً معافى، نوراً لمجتمعك وملحاً للأرض.

**3- الحماية من الشكوك ومن هجمات إبليس = الحماية من الجراثيم**

قد تجد نفسك وكأن القيود ابتدأت تتراكم عليك من كل جانب بعد اتخاذك القرار بقبول السيد المسيح وتسليم حياتك له، لأن الذين حولك أخذوا ينذرونك وينصحونك طالبين منك أن لا تفكّر في كذا ولا تعمل كذا، إلى غير ذلك من نصائح. أرجو أن تتذكر في هذه اللحظات أن الذين حولك يحبونك واهتمامهـم بك هو أشبه ما يكون بالوالدة التي تريد أن تحمي طفلها من البرد أو الذبـاب أو الأقـذار لكي ينمو نمواً طبيعياً. لكن احترس لأن البعض ربما يحاول إرجاعـك عـن قـرار إيمانك بدافع الخوف عليك.

ولكي تعلم كيف تجابه عدوك إبليس فمن الواجب أن تعرف طرق هجومه، إذ أنه تدريجياً يتسلل إلى حياة المؤمن عن طريق أحد هذه الأساليب:

1- الشك الذي يقود إلى الاستسلام.

2- الشعور بالفشل أو اليأس.

3- زرع روح الانقسام والفرقة والتمرّد وعدم الخضوع.

4- الاهتمام الزائد بأمور ثانوية والانحراف عن الأولويات والأساسيات.

فمن ناحية الشك تستطيع أن تقطع الطريق على إبليـس برفضك أن تسمع له، وبتصديق كلمة الله ووعوده وحفظها ووضع ثقتـك وإيمانـك فيهـا، كما رأينا في الفصل الرابع.

أما من ناحية الشعور بالفشل واليأس، فتذكّر أن الله هو الآب وهو يمتحنك لكي

يطهرك ويبرهن لك أنك قادر على أن يجعلك تنتصر. أما إبليس فهو الذي يوسوس لك، وهدفه أن يسقطك ويتركك ساقطاً مهزوماً مغلوباً بشعـــور الفشل واليأس. ففي اللحظة التي تشعر فيها أن إبليس يهاجمك، ارفع عينيك إلى الله وتذكّـــر من هو. ثم انظر إلى نفسك وإلى مركزك وتذكّر أنك جالس مع السيد المسيح في السماويات، وأن لا قدرة ولا سلطان لإبليس عليك إذ أن السيـــد المسيـــح انتصـــر على إبليس وسحقه كما رأينا في إنجيل متى في الفصل الرابع. اشكر الله على مكانك ومركزك القوي وواصل مسيرتك بدون خوف. هذه هي حياة المؤمنين المنتصرين.

أما الناحية الثالثة التي كثيراً ما يربح فيها إبليـــس فهـــي زرع روح الانقسام والفرقة والتمرّد وعدم الخضوع. أرجو ياعزيزي القارئ أن تفهـــم معنى الخضوع حسب التعليم الكتابي. لأن الخضوع مبدأ عام نراه في الكتاب المقدس ككل، ويصف معظم العلاقات البشرية. فالزوجة ينبغي أن تخضع لزوجهـــا، والمواطن ينبغي أن يخضع لأولي الأمر، والموظف ينبغي أن يخضع لرئيسه في العمل، والحديث في الإيمان ينبغي أن يخضع لذوي الخبرة الروحيـــة، والمؤمنـــون ينبغي أن يخضعوا الواحد للآخر. فالخضوع هو فضيلـــة بـــين رذيلتـــين، الرذيلـــة الأولى هي التمرّد والعصيان والرذيلة الأخرى هي الخنوع.

**مفاهيم عن التمرّد والخضوع والخنوع:**

قرأت مرةً عن امرأة معقدة نفسياً فقدت زوجهـــا في شبابها وتحملت مسئولية تربية ابنتيها، نشأت الابنتان في جو قاسٍ مليء بالمعاكسات والدكتاتورية من الأم. فخنعت الكبرى لوالدتها لأنها اكتشفت أنه بالخنـــوع فقـــط يمكن أن تحيا في سلام. وهكذا اكتفت بأن تحيا في ظل والدتها، دون أن تكون لهـــا القدرة على أن تتخذ أية قرارات حتى أنها أصبحت بلا شخصية. أما الابنـــة الصغرى فقد نظرت إلى أختها وحنقت على هذه الحياة. وفي إحدى المشاجرات التي حدثت بينها وبين والدتها اشتد الصدام إلى حد كبير انتهى بانتصار الابنة الصغرى علـــى والدتهـــا. وهكذا غلبتها وأجبرتها على أن تخضع لها. وهكذا بينما نشأت الابنة الكبرى لتصبح خيّاطة تعمل

في البيت، نشأت الصغرى لتصبح مضيفة في إحدى شركات الطـيران. لقد عاشت الابنة الصغرى على هواها تذهب حيثما تشاء وترجع بالليل إلى البيت حينما تشاء. فالابنة الكبرى خنعت والصغرى تمرّدت والخنـوع والتمـرّد كلاهمـا خطيئة لأن الكتاب المقدس لا يتكلم عن أبناء في عائلة الله خانعـين ولا متمردين بل عن أبناء خاضعين. فالسيد المسيح لم يكن خانعاً ولـم يكـن متمـرداً بل خضع لمشيئة الله. وخضوعه أوصله إلى الموت على الصليب. وكذلك الرسول بولـس لم يكن خانعاً ولا متمرداً بل خاضعاً لله. فعند كتابته الرسالة إلى مدينة فيلبي ــ وهو في السجن ــ لا نراه يتمسّح بالرومان أو باليهود طالباً منهم العفو، ولا كان متمرداً حاقداً على الله لأنه سمح للرسول بولس وهو الخادم الأمين أن يوضع بالسجن، بل كان خاضعاً لله يتحلّى بروح الثقة بالله وبالنفس، وكان يكـتب إلى المؤمنـين رسائله وكأنه في قصر القيادة أو في مكتب الرئاسة وليس في السجن ينصحهـم ويعلّمهـم عن حياة الحرية، ثم يطلب منهم أن يصلّوا لأجله وهو سفير ملك الملوك ورب الأرباب، لكنه سفير في سلاسل.

فالفارق بين هذه الصفات الثلاث (التمـرّد ــ الخنـوع ــ الخضـوع) هو أن التمرّد رفض لهيمنة الله بسبب عدم فهم وإدراك معنى سيطرة الله وهيمنته على كل الظروف. فالمتمرد ينظر إلى ظروفه نظرة حقد وغضب، غير مدرك بأن الظروف التي يمر بها هي فرصة يستخدمها الله لتطويره.

أما الخنوع فهو الاستسلام للظروف بدافـع اليـأس أو الخـوف. والخانع مثل المتمرد لا يدرك مشيئة الله وهيمنته على ظروف الحيـاة بل يركّـز على مشاعر اليأس وينحني أمام الظروف.

أما الخضوع فهو يتضمن التسليم الكامل لله صاحب السلطان والثقة به أنه قادر أن يحول هذه الظروف للخير والبركة. كما قـال يوسـف الصديـق لإخوته. "**أنتم قصدتم بي شراً أما الله فقصد به خيراً**".

فالمؤمن بالسيد المسيح يشبه حجراً كريماً (جوهرة) وضعه الصائغ الخبير في مضبطة مُحكمة لكي يشتغل عليه بالإزميل والمطرقة حتــى يصبــح جوهرة جميلة وبراقة وجديرة بأن توضع في خاتم. لكن المؤمن المتمرّد يركّز بعينيه على الإزميل والمطرقة حاقداً ممتلئاً بالبغضاء والغضب. غير مدرك لمشــيئة الصائغ (الله) الذي في النهاية يريد أن يجعل منه شخصاً يعكس صورة وصفات السيد المسيح.

أما المؤمن الخانع فهو أيضاً يركّز على الإزميــل والمطرقــة متقوقعاً منكمشاً بسبب يأسه من الانفلات، غير مدرك كذلك لمشيئة الصائــغ (الله) الذي في النهاية يريد منه شخصاً يعكس صورة السيد المسيح.

أما المؤمن الخاضع فينظر إلى ما وراء الإزميل والمطرقة مركّزاً عينيه على الصائغ (الله) ومدركاً أن هدفه هو أن يجعل منه شخصــاً يعكــس صورة وصفات السيد المسيح. فلا يتمرّد على الإزميل والمطرقة كما لا يستسلم لهما بدافع اليأس أو الخوف بل يخضع للذي يسيطر على الظروف ويقضي تبعاً لذلك بالعدل.

أما الناحية الرابعة وهي الاهتمــام الزائــد بأمــور ثانويــة والانحــراف عن الأولويات، ففي هذه المعركة سقط كثيرون من عائلــة أهــل بيت الله وبينهم أتقياء وقادة حملوا رسالة السيد المسيح، إذ أنه عندما يفشل إبليــس في معاركــه السابقة، يهاجمك متخذاً هيئة ملاك يأتي ويغوي المؤمنين بخدمات واهتمامــات برّاقة وهامة ولكنها ليست الأهم. لقد عاش السيد المسيح على الأرض بهــدف واضح وأولويات واضحة، ولم يدع الظروف أو المسئوليات أو الاهتمامات تبعده عن تحقيق هدفه.

**4- الراحة والطمأنينة وإلقاء أحمالنا وهمومنا على السيد المسيح = النوم**

عندي بعض التساؤلات لأولئك الذين اختبروا السيد المسيح لوقت ليس بقصير: هل تشعر أحياناً أنك بحاجة إلى إجــازة أو عطلــة من الله؟ وهــل تشعر بأن النمو يتطلب منك مجهوداً مرهقاً؟ وهل تشعر بأن حياة الالتزام بالــبر مع السيد المسيح، التي تحاول أن تحياها هي مصطنعة وتقترب أحياناً مــن الريــاء؟ إن كان هذا هو

شعورك فتوقف قليلاً وافحص نفسك. ربما تجد نفسك تحمل أحمالاً لا طاقة لك بها لم يكلفك بحملها السيد المسيح أو ربما تكتشف أنك تجاهد بالجسد. لا عجب في ذلك إذ أن العالم وكل ما حولنا يعمل بهذا المفهوم: "جاهــد واعمل الآن لكي تستريح في المستقبل". فرجل الأعمال يصل ساعات الليل بالنهار لكي يجمــع نقوداً أكثر وأكثر حتى يطمئن على مستقبل حياته في شيخوخته. والأمثلة كثيرة عن هذا المفهوم. لكن الحياة مع الله تختلف كل الاختلاف. إذ أننا لا نبدأ بالجهاد بل نبدأ براحة الإيمان.

هل تذكر القصة التي رويتها لك في الفصل الرابع عن الحرب التي كانت تقام لاحتلال رأس الجبل؟. هذه هي قصتنا. إننا لم نجاهد لكي نصل إلى القمة، بل جاهد السيد المسيح، وبجهاده أجلسنا معه في السماويات على رأس الجبــل. وهكذا ابتدأنا نحن بالراحة، أي بالجلوس (بالإيمان). وفي هذا الوضع نستطيــع أن نتحرك ونحن جالسون (أي ونحن سالكون بالإيمان) تماماً كما يفعل الإنسان عندما يستقل سيارة. يجلس أولاً ثم ينطلق القائد بالسيارة.

ماذا يعني هذا الكلام بالنسبة لنا عملياً؟

( أ ) مهما كان شعورك الآن، إن كان كآبة أو فرحاً، خوفــاً أو هماً، فتعال إلى الله واشكره لأنك أنت الآن أمير وابن لله، سفــير وخليفــة الله على الأرض. آمن بهذه الحقيقة وتلذّذ بمركزك.

(ب) إن كان عليك عمل ما، فاذهب واعمله كأمير وابن لله، وكسفير لملك عظيم. لا تنظر لنفسك نظرة احتقار، بل اذكر أنك ابن لملك الكــون واســلك على هذا الأساس.

(ج) حافظ على مركزك. لا تدع إبليس يقنعــك بأنــك لا شــيء ــ اطرده خارجاً وصدّق كلمة الله لا كلمة إبليس. إن عشت هــذه النوعيــة من الحياة فسترى نفسك تسلك بالإيمان، وستجد أن السير في خُطى السيد حياة راحة من المجهود الشخصي، واتكال على قدرة السيد المسيح وقوته.

لننظر إلى الآيات التي قالها السيد المسيح في (متى 11:28-30) "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف". وفي هذه الدعوة يبدو ما يشبه التناقض. فنجد أن هناك دعوة يقدمهـــا السيد المسيح للمتعبين ليحملوا نيره. هل في حمل النير راحة؟ نعـــم إن كان النـــير هو نير السيد المسيح. فهذا يعني أنك تستطيع أن تضع رقبتك مع رقبـــة السيـــد المسيح في نفس النير وتتكل على قوته في جرّ المحراث الثقيل عوضـــاً عن أن تجـــرّه أنت وحدك. ففي مواجهتك لمصاعب الحياة تستطيع أن تضع جميع أتعابـــك وهمومك وأحمالك على السيد المسيح. يا له من امتياز أن تختبر قرب السيـــد المسيـــح منك وقوته في تبديد همومك ورفع الأثقال وتحقيق الأهداف. يا لتعاسة الحياة مع الله إن كانت حياة جهاد لجر أحمال وأثقال كثيرة، نترنح تحت ثقلها ولا مكان للسيد المسيح فيها.

في الأشهر الأولى من إيماني بالسيد المسيح كنت أمـــارس عادة جميلة علّمتني أهمية الراحة والنوم الروحيين. عندما كانت تزحـــف الهمـــوم إلى قلبي كنت ألقي بنفسي على السرير وأصلي بكلمات كهذه: "يارب كمـــا أنـــي واثق بأن هذا السرير قوي ويحملني وسوف لا يتحطّم ويسقط. هكذا أنا واثـــق بـــك يـــارب. ها أنا ألقي بنفسي وبكل همومي ومشاكلي الآن بين يديـــك. أشكـــرك يـــارب لأن يديك قويتان وأقوى من هذا السرير. أشكرك يارب لأني الآن قريب من حضنـــك. آمين". وبعد هذه الصلاة القصيرة كنت أجد نفسي بالتدريـــج أشعـــر بأن الهموم قد انزاحت عن صدري وأخذت عضلات جسمي في الارتخاء. يا لها من راحة في السيد المسيح.

ربما تحتاج في هذه اللحظات أن تلقي بنفسك بين يدي الله وتتمتع بشركة عميقة معه. وبصلاة مُفعمة بالشكر والتمجيد والعبادة، تعـــبّر لله عمـــا في أعماقك. انتهز الفرصة الآن وتمتع بالراحة مع السيد المسيح.

**5- التخلّص فوراً من تأثيرات الخطيئة والمعاصي = معالجة الأمراض بسرعة**

في القطب الشمالي تُستخدم وسيلة خاصة لصيد الدببة وهي وسيلة سهلة لا تتطلب أي مجهود. يجمع الصياد عدداً من الضلوع العظمية المرنة ويدبّب كلاً منها من الجانبين إلى أن تصبح حادة كالمخراز، ثم يثنيها لتُشكّل حدوة حصان. ثم يلفها ويغلفها باللحم. بعد هذا يربطها بخيط لتبقى العظمة داخل اللحم مثنية على شكل حدوة الحصان. ثم يضع هذه القطعة اللحمية في الثلج إلى أن تتجمد فيقطع الخيط. ثم يذهب إلى الأماكن التي تمر بها الدببة ويضع بها بعض قطع اللحم في المكان المعين ويختبئ. وما أن يشم الدب رائحة اللحم حتى يندفع نحوها ويلتهمها الواحدة تلو الأخرى دون أن يمضغها وينطلق في طريقه. وفي هذه المرحلة، كل ما على الصياد أن يفعله هو أن يتتبع الدب. فعندما يذوب اللحم المجمد داخل معدة الدب تنفك قيود العظمة المثنية وتمزّق معدة الدب من الجانبين. وهكذا دواليك، العظمة تلو الأخرى، حتى يأخذ الدب في الترنح تحت وطأة الألم والنزيف الداخلي. وما أن يسقط على الثلج حتى يأتي الصياد ويقضي عليه.

هل تستطيع أن تتخيّل الله الآب ينظر إلى أولاده الذين أحبهم، وأحبهم محبة لا حدود لها، يبتلعون عظام الخطيئة المثنية واحدة تلو الأخرى ويترنحون تحت وطأة الألم والنزيف الداخلي؟ هل تستطيع أن تتخيل عمق الألم الذي يختبره أي أب إن رأى ابنه وقد ابتلع شوكة سمك حادة ووصلت إلى معدته. هذا ما تسببه الخطيئة لنا ولأبينا السماوي ولعائلة الله التي ننتمي إليها.

والغريب في عالمنا هذه الأيام أننا نحن، المؤمنين، تقبلنا مفهوم أن المؤمن الذي له ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس ــ أي المؤمن الذي لا يدع العظام الحادة تبقى في داخله بل يتخلص منها باستمرار ــ هذا المؤمن غير عادي ونادراً ما نجده ولكن الشيء العادي هو أن نرى معظم المؤمنين يترنحون تحت وطأة خطيئة ما وكأن راحة الضمير هي اختبار عابر يختبره المؤمن لأيام أو لأسابيع قليلة في السنة. يا لتعاسة سيرنا في خُطى السيد إذ أننا جعلنا من الشاذ والمريض

الحالة العادية ومن الصحيح والقوي الحالة الشاذة. والذي يحيا بضمير متعثر يجد نفسه ضعيف الطاقة يعمل بمجهوده الشخصي ويفقد لذة الاتكال على السيد المسيح، فهو أشبه ما يكون بصاحب سيارة، خــزان وقودها مثقوب وينبغي أن تُعبّأ كل ساعة مرة. فهذا الإنسان سيتعب من تعبئتها ويأخذ في دفعها.

هل هناك علاقة ما، ليست على ما يــرام؟ هــل يجــب عليك أن تتنازل عن كبريائك وتذهب لتصطلح مع شخص أسأت إليه أو أســاء إليك؟ أو هل تستطيع أن تتخيل رجلاً تقياً سافر على دابته عدة ساعات وربما عــدة أيــام حتى وصل مدينة القدس، كان معه ما يحتاج أن يقدمه على المذبح، فإذا بالسيد المسيح يقول له: "**فإن قدّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيــك. وحينئــذٍ تعــال وقدم قربانك**". وكأن مرشداً روحياً يطلب منك أن تترك مكان العبادة وتعود من حيث أتيت لكي تصطلح مع شخص أسأت إليه ثم تعود بعدها إلى مكان العبادة. يا للذة حياة السير في خُطى السيد المسيح إذا نحن قبلناها وعشناها ولم نفلسفها.

لكن ربما تقول ــ هناك شخص أساء إليّ ولم أسئ إليه، فماذا يجب أن أفعل؟ قال السيد المسيح، "**إن أخطأ إليك أخــوك فاذهب وعاتبــه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخُذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقــل لجماعة المؤمنين..**" (متى 18:15−17) عندما تذهب لتتصالح مع شخص ما تذكّر هذه النقاط العملية.

( أ ) الهدف هو المصالحة ــ وليس الاعتذار. أي من الممكــن جداً أن تقول عفواً وتتركه كما أتيت وكأن شيئاً لم يكن، لكن المشكلــة لا تزال كما هي. الهدف هو أن تتصافى القلوب.

(ب) قبل ذهابك للمصالحة صلّ وفكّر وتذكّر الحادثة التي سببــت الخلاف. ما هو خطؤك أنت. قد تستطيع أن تقول في لحظة وبوضــوح ما هو خطأ الشخص

الآخر. ولكن ما هو خطأك؟ اذهــب إليــه وبــروح التواضــع اعتذر له عن (الخشبة) التي في عينيك واسأله أن يغفر خطأك وأن يسامحك واعتبر أنت أن خطأك هذا مثل خشبة كانت في عينيك. فإن اختــار هو أن يتكلم أو أن يعتذر عن خطئه، فانظر إلى ذلك الخطأ كحشــرة صغــيرة دخلــت في عين أخيك المؤمن وطلب منك أن تخرجها بطرف منديلــك. لا تتكــبر وأنت تقوم بهذه الخدمة لأن الخشبة، في عينك أنت.

( ج ) لا تقل "عفواً" ــ بل قل "أنا على خطأ. هل يمكنك أن تسامحنــي على الخطأ الفلاني؟" حتى تسمع منه الجواب "نعم". وهذا ما يساعدك لكي تريح ضميرك.

قبل أن تكمّل قراءة ما تبقى من هذا الفصل، اقضِ بعض الدقائــق في الصلاة والتفكير. هل هناك أشخاص يحتاجون أن تذهب إليهم وتتصالــح معهم؟ اكتب هذه الأسماء هنا وقرّر التاريخ الذي ستبدأ فيه والشخص الذي ستبدأ معه.

يا أخي، يا أختي ما ألذ راحة الضمير خصوصاً بعــد أن تتخلّــص من عظمة كانت تسبب لك نزيفاً داخلياً.

1- ________________________________

2- ________________________________

3- ________________________________

4- ________________________________

في السنوات التي مضت كان عليّ أن أنتزع بعض العظام التي بقي بعض منها في جوفي لوقت طويل. أولها كانت بعد أن آمنت بالسيد المسيح بوقت قصير. كان عليّ أن أدفع ثمن ربطة عنق كنت قد استعرتها وتناسيتها معي ــ أي سرقتها. وقد وبخني الله على ذلك فأرسلت النقود في رسالة واعتذرت لصاحــب ربطة العنق. يا لجمال راحة الضمير ويا للذة العلاقة النقية مع الله.

هل هناك أمور يجب عليك أن تصحّحها؟ ليس هناك نقــود أو كرامة شخصية

أو مركز أو أي شيء يوازي أهمية راحة الضمير. أرجـو يا أخـي يا أختي أن لا تتركا هذا الجزء من الكتاب قبل أن تتخذا بعض القرارات لكي تنالا راحة الضمير.

**6- الاعتراف بالسيد المسيح ودعوة الآخرين إليه = الحركة والتمرين**

في الأصحاح التاسع من إنجيل يوحنا نجد قصـة ممتعـة عن شاب أعمى منذ ولادته شفاه السيد المسيح بمعجزة. وهذه المعجزة أحدثت ضجـة كبيرة، ليس فقط بين أهل البلدة الذين عرفوا الأعمى زمناً طويلاً، بل أيضاً بين رجال الدين اليهودي الذين اهتزوا غضباً على السيد المسيح لأنه شفى في يوم السـبت. ومع أن التهديد والوعيد انصبّ على الأعمى إن هو تكلم عن السيد المسيح، لكنه لم يسكت، بل بكل جرأة وبساطة تكلم عن المعجزة التي حدثت معه. لقد قال لأهل البلدة: "**إنسان يقال عنه المسيح صنع طيناً وطلى عينيّ وقال لي اذهـب إلى بركـة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت**"، وعندما سأله الفريسيـون (قادة اليهود) عما حدث له قال: "**وضع طيناً على عينيّ فاغتسلت فأنا أُبصر**". عندئذ قال له الفريسيون: "**نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ**" فأجاب الأعمى: "**أخاطئ هـو، لسـت أعلم. إنما أعلم شيئاً واحداً، أني كنت أعمى والآن أبصر**".

يا لها من شهادة! بجرأة وبثقة وببساطة. مرة بعد المـرة تكلّم عما فعله السيد المسيح. ومما لا شكّ فيه أن جرأته زادت كلما تكلّم أكثر، وعلى عكس والديه اللذين خافا تهديد الفريسيين واختارا أن يتهربا من مسئوليـة الاعتراف عندمـا سألوهما قائلين: "**أهذا ابنكما الذي تقولان إنه وُلد أعمى، والآن يبصر؟**" أجابهم أبواه: "**نعلم أن هذا ابننا وأنه وُلد أعمى. وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم. أو من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن. اسألوه فهو يتكلم عن نفسه**".

عندما تقرأ كتاب أعمال الرسل الذي دُوّنت فيـه قصـة الجماعـة الأولى من المؤمنين بالسيد المسيح (الكنيسة الأولى) تجد أن المؤمنين لم يُصلّوا طالبين من الله أن يعطيهم الفرصة للكـرازة بل أن يشجعهـم لكي يتكلمـوا بكل مجاهرة وجرأة.

وربما هذا أحد أسباب ضعف المؤمنين بالسيد المسيح في هــذه الأيــام. لقد افتقدنا جرأة الاعتراف، بل وتخلينا عن بعض الفــرص التي رتبّهــا الله لنــا. فالاعتراف والدعوة للمؤمن هما كالتمرين للجسد، يقويانــه ويشددانــه. وكما أن الإنسان الذي يستلقي على سريره زمناً طويلاً، أياماً أو أسابيع، يجد أنه عندمــا يحاول أن يقوم، لا يستطيع المشي بدون عون. كذلك المؤمن إن اختــار أن يصمت بدافع الخوف أو الحرج فسيجد أن السنين تمر بسرعة والقوة الروحية داخله تخــور. كرازتنا ينبغي أن تكون بالحياة والسلوك أولاً حتى يلمس الناس الموجودون حولنا تحوّلنا، ثم تأتي الدعوة بعد ذلك إلى الإيمان بالسيد المسيح.

**7- خدمة أبوية روحية لتحمُّل مسئولية المؤمــن حديــث الإيمــان في ضعفاته وأخطائه = تغيير الملابس والتنظيف**

من السهل جداً على الأب عندما يرجع إلى البيت بعد يوم متعب في العمل أن يتمتع بابنه الصغير أو بابنته الصغيرة. وخاصة إن كان الطفل في حالة مرح وليس في حاجة إلى شيء، فيدعه يتسلّق على كتفيه، ويداعبه بمحبة وعطف. ولكن عندما يشم الأب رائحة كريهة ويعرف أن ابنه يحتاج لتغيــير الملابــس، عندئذ يدفعه إلى أمه. فمحبة الأب لم تكن بالحجم الكافي لتغمر الطفل في ساعات القذارة وكأنه يقول لابنه "أحبك وأريد أن أداعبك طالما أنت نظيف، ولكن عندما تكــون قذراً فسأنتظر حتى تنظفك أمك وبعدئذ تأتي إليّ".

أخي المؤمن هل تشعر بأنك محاط بآباء يحبونك ويشجعونــك طالما تعيش في انتصار، وروح السيد المسيح ظاهر فيك، ولكن عندما تسقط يدفعونك بعيداً وكأنهم يقولون لك: "قف على رجليك وعندئذ فقط سنهتم بك ونشجعك؟"

لقد كتب الرسول بولس لأهل مدينــة كورنثــوس: "**لأنه وإن كان لكم ربوات (عشرات الألوف) من المرشدين في المسيح لكــن ليــس آباء كثيرون. لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل**". (كورنثوس الأولى 15:4).

هؤلاء الذين يحبونك ويشجعونك فقط عند انتصارك هم مُرشدون وليسوا آباء، والمرشدون كثيرون لكن الآباء قليلون. فإن تبنّاك أحد وأخذ يساعدك لكي تنمو، فلا تزدرِ بالنعمة لأن هذا امتياز عظيم.

أشجعك يا أخي أن تصلّي وتطلب من الله أن يُثّقل قلب شخص ما لكي يتحمل مسئولية متابعتك. قد يكون هو نفس الشخص الذي قادك لمعرفة السيد المسيح، كما حدث بين الرسول بولس وأهل مدينة كورنثوس. أو قد يكون شخصاً مستعداً أن يتبنّاك كما حدث للرسول بولس مع تلميذه تيموثاوس وهكذا يصبح أباً روحياً لك. كن منفتحاً له. شفافاً في علاقتك معه. أخبره عن انتصاراتك وصعوباتك وسقطاتك. شجّعه لكي يوبخك وكن قابلاً للتعلّم ومرناً ومنفتحاً للتدرّب لأن هذه هي صفات التلميذ.

لقد حاولنا أن نقوم بمقارنة بين الطفل واحتياجاته وبين المؤمن الحديث واحتياجاته ونظرنا إلى عدة نواحٍ:

1- علاقة مستمرة متصلة بالله بالصلاة والدعاء = التنفس.
2- التغذية من خلال قراءة ودراسة الكتاب المقدس = الطعام.
3- الحماية من الشكوك ومن هجمات إبليس = الحماية من الجراثيم.
4- الراحة والطمأنينة وإلقاء أحمالنا وهمومنا على السيد المسيح = النوم.
5- التخلص فوراً من تأثيرات الخطيئة والمعاصي = معالجة الأمراض بسرعة.
6- الاعتراف بالسيد المسيح ودعوة الآخرين إليه = الحركة والتمرين.
7- خدمة أبوية روحية لتحمّل مسئولية المؤمن حديث الإيمان في ضعفاته وأخطائه = تغيير الملابس والتنظيف.

كيف تقيّم نفسك على ضوء هذه الضرورات السبع؟

______________________________________________

______________________________________________